السعادة عند محيى الدين بن عربى

رسالة مقدمة من

الباحثة/ مديحة حمدى عبد العال مرسى

المدرس المساعد بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة الفيوم

لنيل درجة الدكتوراة فى الآداب

قسم الفلسفة (فلسفة إسلامية وتصوف)

تحـــت إشـــراف

الأستاذ الدكتور/ أحمد محمود الجزار
أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف
بكلية الآداب جامعة المنيا

الأستاذ الدكتور/عبد الحى محمد قابيل
أستاذ الفلسفة الإسلامية
بكلية الآداب جامعة أسيوط

الملخص العربي للدكتوراة:

إذا كان فلاسفة الإسلام قد عنوا عناية فائقة بمناقشة موضوع السعادة؛ فإن صوفية الإسلام بوصفهم الوجه الروحى للحياة الإسلامية فى أخص خصائصها؛ قد سخروا حياتهم الروحية -أيضاً - للبحث عن السعادة بمعرفة الله وحبه والقرب منه،تلك السعادة التى لم تكن أبداً فى تصورهم سعادة فردية نفعية أنانية؛ بل كانت سعادة تشمل جميع عباد الله. ولهذا سخر العارف نفسه ليكون نبراساً للسعادة والكمال، فيرشد غيره إلى طريق السعادة التى وصل إليها، تلك السعادة التى لا تنفك عن الإيمان بالله وعبادته، وتزكية النفس وتطهيرها، وصولاً إلى إعمار الأرض بما أمر الله.

وتزداد أهمية مناقشة آراء صوفية الإسلام فى موضوع السعادة إذا وضعنا فى الاعتبار أن محيى الدين بن عربى "ت٦٣٨هـ" وعبد الحق بن سبعين "ت٦٦٩هـ" وصدر الدين القونوى"ت٦٧٣هـ"وعبد الكريم الجيلى"ت٨٣٢هـلم يكونوا صوفية خُلص،بل صوفية متفلسفين مزجوا أذواقهم الروحية بالنظر العقلى، مما أدى إلى تطبيق مذاهبهم على الوجود بُغية تحديد علاقه الله بالعالم من ناحية وعلاقه العالم بالله من ناحية أخرى. مما يشكل منازع ميتافيزيقية لا تقل عمقاً عما تركه لنا فلاسفة الإسلام. والشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى على وجه الخصوص يعد أخصب نموذج لمن مزجوا التصوف بالفلسفة، حيث أن التصوف الفلسفى إنما يُعرف به. فقد صاغ مذهبه فى وحدة الوجود بشكل يجعله يتربع على قمة التصوف الفلسفى حتى يومنا هذا.

وتعد مسألة "السعادة" القضية الكبرى التى تشغل عقل وفكر كل إنسان من لدن آدم وحتى تقوم الساعة. فالسعادة بالنسبة لأى إنسان هى بمثابة بؤرة وجوده، فإليها يسعى بروحه وعقله وعمله وجسده وخياله. ولكن كل فرد تتفاوت مطالبه الخاصة والعامة، وبناءً على ذلك تتفاوت معانى السعادة لديه. وإذا كانت السعادة غاية يسعى إليها الجميع ويفكر فيها الجميع، فإنها ولاشك قد شغلت عقل وروح الشيخ الأكبر، الذى صاغ كثيراً من الأفكار ليصل إلىتحليل وافٍ لها. فقد أدرك الشيخ الأكبر أهمية موضوع السعادة البشرية على انها تعد غاية الضمير البشرى ومصيره النهائى، الذى ينتظم به كيان المرء كله:إرادة وفكراً وحساً ووجداناً ،روحاً وجسداً؛ فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

ولهذا وجدنا أن أقرب شىء لكى يتسنى فهم آراء ابن عربى بصفة عامة وآرائه فى السعادة بصفة خاصة أن يؤخذ فى الإعتبار مقولة هنرى كوربان: الذى يرى أن "الوسيلة الوحيدة لفهم ابن عربى هى أن يصبح الباحث واحداً من مريديه ولو لفترة من الزمن، وأن يأخذ عنه ويتلقى على يديه بنفس الطريقة التى أخذ بها هو نفسه عن مشايخ التصوف فى عصره" بل

إن معرفة أى باحث بأى قضية من القضايا التى ناقشها ابن عربى، ليست إلا الصورة التى يتجلى بها ابن عربى على قدر الباحث نفسه وطبقاً لإمكانياته الروحية. ولكن أى باحث فى النهاية مطالب بالخروج من عباءة ابن عربى لكى يتمكن من التحليل والتفسير والتقييم الموضوعى للقضايا التى عالجها. فمرامى ابن عربى من أى قضية تفسر من كل باحث فى كل عصر على حسب الزاوية التى يراه منها. ولذلك حرصت على أن يكون هناك ثبت فى الحاشية للمصطلحات الصوفية التى وردت فى نصوص ابن عربى المتعلقة بالسعادة؛ وهذا للكشف والتحليل عما تحويه النصوص من غموض، أو اتصال بغيرها من القضايا.

ولهذا سأحاول من خلال الدراسة بيان أهمية السعادة- على وجه الخصوص- عند ابن عربى، فإنها بما تشعب منها من قضايا وأفكار، كانت محور اهتمامة، بل إن جميع القضايا التى ناقشها عبر جميع مؤلفاته كانت لا تنفك عن تصوره لها. والواقع، أن الشيخ الأكبر كمتصوف، وفيلسوف روحى، قد أولى مسألة **"السعادة"** قدراً كبيراً من العناية والاهتمام- وهذا عبر جميع مؤلفاته- بحيث جعلها قضية تتشعب عبر كثير من قضايا التصوف الكبرى. ولهذا كانت هناك اعتبارات قد واجهت الباحثة لدراسة موضوع السعادة عند محيى الدين بن عربى، ويمكن الإشارة إليها فيما يلى:

أولاً : إن موضوع السعادة من الأهمية بمكان وسط قضايا الفلسفة المختلفة، ووسط قضايا التصوف الفلسفى بصفة خاصة. وإذا كان ابن عربى قد أولى عناية كبيرة بكل القضايا التى تشغل الإنسان ومن ثم تربطه بالله والعالم، فليس أولى من السعادة كرابط يربط العبد بربه، وبالعالم من حوله.

ثانياً : إن تحليله الدقيق والعميق لمرامى مفهومه للسعادة كان لصيق الصلة بتصوره لمسألة الجزاء الأخروى، فلم يرض ابن عربى من خلال تحليله لها إلا أن يطرح الجزاء فى الآخرة بجميع أقسامه ودرجاته. ولعل هذا ما جعلنى أركز اهتمامى على رصد حقيقة رأيه فى علاقة السعادة بالجزاء، ومحاولة منى للكشف عن دور وأهمية اعتقاد ابن عربى فى المسؤلية الخلقية، وتصوره للجزاء من ثواب وعقاب. خاصة وإن بعضاً من الباحثين لم يقفوا على مرامى فكر ابن عربى فى هذه الناحية.

ثالثاً : إنه وقع فى ظن كثير من الباحثين أن السعادة عند محيى الدين بن عربى تقتصر على الكمال الروحى فقط، مما جعلهم يهملون البحث فيها، على اعتبار أنها تحصيل حاصل، وليس فيها جديد يضاف إلى التصوف. وهذا بدليل تناول بعض الباحثين لموضوع **"السعادة عند محيى الدين بن عربى"** فى عدد من الرسائل لكن دون أن تفرد لها دراسة

مستقلة. ولهذا فقد أغفلت كثير من الدراسات تحليله الجديد والخطير للسعادة، ولهذا ضاعت ملامحها لدى الباحثين والقراءمعاً . ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتبطل مزاعم وتنويهات بعض الباحثين الذين أشاروا إلى أن السعادة عند ابن عربى تقتصر على السعادة الأخروية، أو انها تخص العارفين فقط.

رابعاً: سنحاول من خلال الدراسة إبراز وتحليل ذلك القسم الغامض والجديد من أقسام السعادة، والتى تشمل الإنسان منذ عالم الذر وحتى مصيره الأخروى. فإن ابن عربى كما سنوضح قد اتخذها أساساً لتصوره للسعادة، فقد بنى أفكاره عليها، بحيث أضحت فكرته فيها متكاملة متماسكة الأجزاء، كما سنوضح فى دراستنا هذه.

ولقد حاولت فى هذه الدراسة أن أجيب على التساؤلات الآتية:

١- ما هو مفهوم ابن عربى للسعادة ؟ وهل للسعادة معان مختلفة فى تصوره ؟ وما هى أقسام السعادة لديه ؟

٢- كيف كان السبيل للتحقق بتلك السعادة عند ابن عربى ؟ وهل كان لها وسيلة واحدة أم تعددت وسائلها لديه ؟

٣- هل تزيد السعادة عند ابن عربى بزيادة تحقق السالك بالمعرفة، وعلام تدل تلك الزيادة؟

٤- هل ترتبط السعادة عند ابن عربى باللذة ؟ وإن كان هناك ارتباط فما هى أنواع تلك اللذات؟

٥- من هو العبد الذى يحقق السعادة فى أعلى درجاتها كما يتصور ابن عربى؟ وبأى شىء كان يرتبط تحققه بتلك السعادة ؟

ومن خلال الدراسة سنحاول الإجابة عن هذه التساؤلات، ولهذا كانت أهم أهدافنا منها، هو محاولة الوصول إلى حقيقة آراء ابن عربى فى السعادة، وليس مجمل تصوره لها فحسب، ولعل ذلك يتضح من خلال طرح العديد من القضايا ذات الصلة بالسعادة. وقد حاولت قدر استطاعتى أن أتوخى الموضوعية العلمية فى رصد الحقائق التى حوتها آراء ابن عربى فى السعادة، ولهذا لم أحاول أن أستخرج حقيقة تصوره لها إلا من خلال نصوصه وروحه السارية فيها، حتى أظهر حقيقة تصوره لها، ثم أقوم بتحليل أهم القضايا الروحية المتصلة بها. أما أن أدافع عن ابن عربى أو أتحامل عليه، فهذا فى رأيى يتنافى مع الموضوعية،ولهذا كنت كثيراً ما أستدل بنصوصة فى كل موضع، ليتسنى لى تفسيرها. كما أننى قد أوردت بعض النصوص كاملة حتى لا تضيع معالم الفكرة الأساسية فى النص، ولكى لا تظهر بشكل مبتسر فتلتبس

التحليلات مع الأفكار الأساسية.وذلك تحقيقاً لما أهدف - بقدر الطاقة- له من إصابة الحقيقة التى كان يقصدها ابن عربى من تصوره السعادة.

أما الحقيقة التى سنجدها بارزة من خلال الدراسة؛ فهى أن السعادة قد بلغت لديه من الاهتمام إلى الحد الذى جعلها محور أفكاره الروحية كلها بصفه عامة، وأفكاره الأخلاقية بصفة خاصة. ولهذا سنحاول فى هذه الدراسة إبراز السعادة على المستوى الوجودى والمعرفى والخلقى. فعندما قدم ابن عربى تصوره للسعادة كان بهذا يحاول أن ينقلها من مرحلة الأفكار المتفرقة الغامضة التى كانت منتشرة بين الفلاسفة والصوفية، إلى مرحلة وضع الأفكار والتصورات الروحية فى قالب مذهبى. وقد كان منهجى فى هذا كله هو المنهج التحليلى المقارن، والذى حاولت فيه الوصول إلى تحليل شامل لآراء ابن عربى فى السعادة، وتوضيح الإرتباطات التى تشترك فيها السعادة مع قضايا التصوف الكبرى، وإبراز أوجه التأثير والتأثرالتى تظهر فى بحثة عن السعادة بصفه خاصة. وكذلك مقارنة آرائه بمن سبقه ومن تلاه ومن عاصره من متصوفة وفلاسفة يونان ومسلمين.

ولهذا فإنى سأعرض للدراسة فى موضوع **"السعادة عند محيى الدين بن عربى"** فى خمسة فصول تسبقها هذه المقدمة، ونختم الأمر بالنتائج التى توصلت لها الدراسة، وهذه الفصول على النحو التالى:

الفصل الأول وعنوانه: السعادة مفهومها وأقسامها.

الفصل الثانى وعنوانه: وسائل التحقق بالسعادة.

الفصل الثالث وعنوانه: السعادة والمعرفة.

الفصل الرابع وعنوانه: السعادة واللذة.

الفصل الخامس وعنوانه: السعادة والإنسان الكامل.